مجلة عصـور المجلد 20 العدد 1 (خاص) ماي 2021
ردمد EISSN 6278-2600 / ISSN 1112-4237 الإيداع القانوني Dépôt légal 464 -2002

تاريخ بلاد المغرب (الجزائر) القديم في المصادر الإسلامية
The Maghreb (Algeria)'s ancient history in Islamic sources

د. بعارسية صباح *
جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة / الجزائر
sabahbearcia@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/02/09 تاريخ المراجعة: 2020/05/25 تاريخ القبول:2020/06/07

الملخص:

جاء تاريخ الجزائر القديم خاصة وبلاد المغرب عامة في المصادر الإسلامية، مشرقها ومغربها، مقتضبا محتشما ضئيلا، إذ لم يحض باهتمام المؤرخين المسلمين طيلة الفترة الوسيطة، لأسباب عدة من أهمها الإرادة القوية لقطع الصلة بالفترة السابقة للإسلام (فترة الجاهلية في جزيرة العرب) التي اعتبرت فترة وثنية بامتياز. لكن رغم هذا لم تخل الكتابات الإسلامية من إشارات لتاريخ بلاد المغرب قبل الإسلام عند الحديث عن الفتوحات الإسلامية للمنطقة وإن كان هذا لضرورة منهجية بحتة. لهذا نجد في المصادر الإسلامية التي كتبت عن الفتوحات الإسلامية للمنطقة المغاربية إشارات لتاريخ المغرب القديم، وإن غلبت عليها القصص والأساطير، لكننا نعرف أن الأساطير لديها أصل تاريخي.

ونجد كذلك إشارات لتاريخ أبعد من الفترة السابقة للفتح الإسلامي عند الحديث عن أصل تسمية المنطقة، وتسمية السكان وأصل السكان، فقد أفاضت المصادر الإسلامية بذكر روايات مختلفة عن ذلك، خاصة عند حديثها عن أصل سكان المنطقة، وإن عاز هذه الروايات الموضوعية والدقة، لكنها تبقى مصدر هام لتاريخ الجزائر وبلاد المغرب القديم.

الكلمات المفتاحية: الجزائر؛ المغرب القديم؛ الأمازيغ؛ البربر؛ الفتح الإسلامي؛ قرطاجنة؛ المصادر الإسلامية؛ المصادر المشرقية.

* د. بعارسية صباح، جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة / الجزائر

المنارة للاستشارات
ww

Abstract :

The history of ancient Algeria in particular, and the Maghreb in general, was modestly succinct, as it did not incite the interest of Muslim historians in the middle age period, for several reasons, the most important of which was the strong will to sever the connection with the pre-Islamic period, which was considered a pagan period with distinction. But despite this, Islamic writings were not without references to the history of the countries of the Maghreb before Islam when talking about the Islamic conquests of the countries of the Maghreb, although this was a purely methodical necessity. That is why we find in the Islamic sources, oriental or maghrebian sources, that wrote about the Islamic conquests of the Maghreb region references to the history of ancient Maghreb (Algeria), even if stories and legends dominated them, but we know that myths have a historical origin.

Keywords : Algeria; Maghreb; Berbers; Islamic conquests; Cartagena ; Islamic sources ; Oriental sources.

- مقدمة:

أولى الفرنسيون لتاريخ المغرب القديم عامة والجزائر خاصة اهتماما كبيرا، على الأقل منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830م، والواقع أن البحث في تاريخ الجزائر القديم يصعب دون العودة للكتابات الفرنسية، علما أن كثيرا منها صُبغ بصبغة إيديولوجية استعمارية ليس محل عرضها هنا. أما كتابات المسلمين في الفترة الوسيطة فلم تتعرض لهذا الماضي إلا عرضا، وباقتضاب شديد، لتركيز الكتابات الإسلامية على فترة ما بعد ظهور الإسلام، لأن كل ما سبق الإسلام هو من الجاهلية الوثنية التي وجب محوها وعدم التعرض لها. لكننا سنحاول هنا عرض النزر اليسير الموجود في المصادر والمراجع الإسلامية حول تاريخ المنطقة قبل الإسلام. انطلاقا من هذا ما هو حجم تاريخ الجزائر وبلاد المغرب القديم في المصادر الإسلامية، مشرقها ومغربها؟

أغلب الدراسات لتاريخ الجزائر القديم (بلاد المغرب القديم) اعتمدت على المصادر الغربية وخاصة منها القديمة، لخلو المصادر الإسلامية من تاريخ المنطقة

المنارة للاستشارات
ww

القديم، الذي يمتد من ابتكار الكتابة إلى الفتح الإسلامي، ويكفي أن نعود لكتابات عبد الله العروي ومحمد شفيق والبشير شنيتي والهادي حارش، الذين اعتمدوا بدورهم على مصادر ودراسات غربية، خاصة منها الفرنسية لندرك ذلك.

من هذا المنطلق جاءت هذه الورقة العلمية كمحاولة لقراءة تاريخ المغرب القديم من وجهة نظر إسلامية، سواء كانت هذه المصادر مشرقية أو مغربية. وقد جاءت طريقة عرض المادة العلمية عرضا متسلسلا من الأقدم إلى الأحدث، كمحاولة لاكتشاف حجم هذا التاريخ، والاختلاف الموجود في المصادر الإسلامية في تاريخ المغرب القديم، مستعملين المنهج التاريخي الوصفي.

وقد بدأنا هذه الورقة العلمية بعد المقدمة بذكر نوع المصادر الإسلامية التي أشارت لتاريخ المغرب القديم، ثم أشرنا لأصل تسمية المنطقة والسكان، ثم عرضنا أصل السكان كما جاء في المصادر الإسلامية. ثم انتقلنا لذكر أخبار المنطقة قبل الفتح الإسلامي، دائما كما جاءت في المصادر الإسلامية، ثم أشرنا في عجالة لمقاومة البربر للفتح. وختمنا هذه الورقة بالنتائج التي توصلنا لها.

سنحاول في هذه الورقة أن نتطرق لتاريخ الجزائر القديم خاصة وبلاد المغرب عامة في المصادر الإسلامية، سواء منها العربية أو الأمازيغية، وذلك لاستحالة فصل تاريخ الجزائر عن باقي بلاد المغرب القديم. فالفترات الأولى للفتح كان المشارقة فيها هم السباقين لتدوين أخبار الغرب الإسلامي، فيندمج تاريخه في مؤلفاتهم، وقد يفرد في كتاب على حدا، كما أشار لذلك المنوني (المنوني محمد، 1999: 17).

1- نوع مصادر تاريخ المنطقة القديم وأهم المصادر الإسلامية:

سنعرض في هذا المبحث لنوع المصادر التي كتبت عن تاريخ المنطقة عامة، على اختلاف الحقب الزمنية، ثم سنذكر أهم المصادر الإسلامية منها.

1-1- نوع المصادر:

إن أقدم المصادر الإسلامية بدأت بعد فترة الفتوحات بحوالي قرن، مما جعل جامعي الأخبار التاريخية يعتمدون على روايات شفوية، ولا شك أن الرواية الشفوية معرضة للمبالغة في التقدير، ولوضع الأخبار لأغراض مذهبية وغيرها، ما أدى للوضع والتضخم. وقد نتج عن ذلك أن ما روي من الأخبار حول الفتوح يحمل أحيانا طابعا

المنارة للاستشارات
ww

أسطوريا أو قصصيا، ينبغي التفطن لغلوه ومبالغته (حاجيات عبد الحميد، 2007: 13).

وإذا كان من المستحيل على المؤرخ، حتى في عصرنا هذا المستوعب لمفهوم "الموضوعية"، أن يتجرد من المشاعر الوطنية أو القومية أو الدينية ومن التصورات المذهبية، فما بالك بمن أرخوا لمجريات العصور الغابرة، إذ كانت العصبيات ودرجاتها هي قوام التماسك الاجتماعي، وكان التعصب للدين أو للجنس والعرق يعد بمثابة الفضيلة الأولى. لم يتحين الأمازيغ لأنفسهم قط فرصة تزييف ولا تزويق: عهدتهم في تحليل تاريخهم وتركيبه كلها على من كتبوا في شأنهم بالتوالي ابتداء من عهد الفراعنة الأول وانتهاء بعهد ضباط "التهدئة الفرنسية"؛ من الكتبة من المصريين القدماء، ومن اليونان والفنيقيين والرومان والوندال والبيزنطيين والعرب والفرنسيين (شفيق محمد، 1988: 6).

كما أن الوثائق المتعلقة بمراحل التاريخ القديم لا تقدم الضوء الكافي للتعرف على تاريخ البلاد المحلي، فكتابات المؤرخين القدامى إما كانت سلبية مثل كتاب "حرب يوغرطة" (الملك النوميدي (105 ق.م) لسالوست الروماني (35 ق.م)، وإما لا تولي للتاريخ الداخلي للأمازيغ اعتبارا ولا مجالا. نفس الاتجاه نجده عند من أرخوا لفترة الفتح أو لمراحل لاحقة. مختلف المؤرخين مشرقيهم ومغربيهم وروا تاريخ شمال أفريقيا إما في قالب حوليات، مثل الطبري (310هـ/923م) وابن الأثير(630هـ/1233م)، وإما في قالب أخبار مخصصة لدولة أو ملك، مثل يحي بن خلدون (781هـ/1379م) في كتابه "بغية الرواد" (ابن خلدون عبد الرحمان، 2011: 8)، لهذا لم نعدم خلال هذا التاريخ إشارات للتاريخ القديم للمنطقة.

1-2- أهم المصادر الإسلامية، الحدود الجغرافية:

قبل الحديث عن تاريخ الجزائر القديم نشير لحدود بلاد المغرب كما جاءت في المصادر الإسلامية؛ المشرقية منها أو المغاربية، لأن تلك الحدود لم تختلف كثيرا عن حدود المنطقة في الفترة القديمة.

جعل الإصطخري (346هـ/957م) المغرب نصفان يمتد على بحر الروم؛ الشرقي منه يمتد من برقة وأفريقية (تونس) وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة حتى الأندلس.

المنارة للاستشارات
ww

وجزءه الغربي يمتد من حد مصر إلى بحر الظلمات والواحات جنوبا (الإصطخري أبو إسحاق، 1927: 37). ولا تختلف نظرة ابن حوقل (367هـ/977م) عن نظرة سابقه إلا قليلا، فالمغرب عنده يمتد على بحر الروم، نصفه الغربي يمتد من مصر وبرقة إلى أفريقية وناحية تنس إلى سبتة وطنجة (ابن حوقل أبو القاسم، 1872: 41). أما الرقيق القيرواني (417هـ/1026م) فجعل إفريقية من طرابلس إلى طنجة، وذكر أنها كانت كلها ظلا وقرى متصلة (القيرواني الرقيق، 1994: 48). المقصود هنا أن كامل الساحل المغاربي كان عامرا.

وسمى البكري (487هـ/1094م) بلاد المغرب إفريقية، وجعل حدها طولا من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا، مضيفا أن اسم طنجة موريطانية، وعرضا من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان، وهي جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق، وأضاف أن فيه يُصاد الفنك الجيد (البكري أبو عبيد، د.ت: 21). ولم يختلف المراكشي (621هـ/1224م) عن البكري في تحديد المنطقة المغاربية، وإن فصل بين المصطلحين: إفريقية والمغرب؛ فيرى أن أول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة انطابلس المدعوة برقة، "التي بناها الروم فكانت حاضرة لتلك البلاد ومجتمعا لأهلها" (المراكشي عبد الواحد، 1881: 253). وجاء تحديد المصمودي (712هـ/1312م)، وهو ابن المنطقة، لبلاد المغرب أوسع من سابقيه حيث جعل بلاد المغرب جزيرة أحاطت بها البحار من كل جهة: بحر القلزم من المشرق والبحر الرومي من الشمال والبحر المحيط من الغرب. وأضاف أن حد سكن البربر آخر عمل مصر شمالي الإسكندرية إلى البحر المحيط، إلى بلاد السودان (المصمودي صالح، 2013: 229-230). وفصّل ابن عذارى (712هـ/1312م) في حديثه عن هذه المنطقة الشاسعة، فحدّد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر هذه البلاد، وحَده مدينة سلا. وقسمه أقساما: فـ"قِسم من الإسكندرية إلى إطرابلس (كذا)، وهو أكبرها وأقلها عمارة، وقسم من إطرابلس وهو بلاد الجريد بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحَدها إلى مدينة تيهرت، ويليها بلاد هي بلاد طنجة وحَدها مدينة سلا، وهي آخر المغرب". كما أشار ابن عذارى أن بلاد الأندلس أيضا من بلاد المغرب، وداخلة فيه لاتصالها به (المراكشي ابن عذارى، 1884: 5-6).

المنارة للاستشارات
ww

أما العمري (749هـ/1348م) فجعل إفريقية اسم جزء من الإقليم بما فيها مملكة بجاية ومملكة تدلس. وأطرابلس أول مدنها مما يلي برقة، وتدلس آخر مدنها مما يلي المغرب الأوسط، وحدها من الجنوب الصحراء الفاصلة بينها وبين بلاد جناوة (غينيا) (العمري شهاب الدين، 2001: 86). غير أن ابن خلدون (808هـ/1406م) ذكر أن العرف الجاري في أيامه بين سكان هذه الأقاليم دخل في حد المغرب إقليم مصر وبرقة، لكنه صحح أنه يختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب، قائلا أن "هذا كان في القديم ديار البربر ومواطنهم" (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 86).

وذكر السلاوي (1315هـ/1897م)، وهو من المحدثين، أنه لا يمكن فصل الأقاليم الثلاثة لبلاد المغرب عند الحديث عن تاريخها، خاصة منه التاريخ الوسيط والقديم، لأن أخبار المغرب مطلقا (وليس إفريقية فقط) "كانت المقصودة عند ذكر مصطلح إفريقية، ذلك أن أمر الخلافة في صدر الإسلام كان متحدا وحكمها مجتمعا وكلمتها نافذة في جميع ممالك الإسلام... إذ الوالي الموجه من قبل الخليفة في صدر الإسلام كان يكون واليا على إفريقية وما بعدها من بلاد المغرب إلى البحر المحيط" (السلاوي أحمد، 2007: 65).

1-3- أهم المصادر الإسلامية: أصل التسمية.

أما فيما يخص اختلاف التسميات للمنطقة فمرده لاختلاف الروايات بين المؤرخين المسلمين، وقبل التعرض لهذا الاختلاف نشير إلى أنه عند الفتح الإسلامي أخذ العرب عن الروم كلمة "بارباري Barbari" وجعلوها بربر. ولقد ظل الأوروبيون يسمون إفريقيا الشمالية "باربارية Barbarie Barbaria" أو الدول البربرية « États Barbaresques » إلى أوائل القرن 13هـ/19م. ولما احتكوا بسكان المغرب الأقصى والجزائر الناطقين بالعربية العامية سمعوا منهم اسم "لبرابر" منطوقا براءين مرفوقتين ونقلوه إلى لغاتهم في شكل Berbères Berbers. ويرى محمد شفيق (ولد سنة 1344هـ/1926م) أن ما سوى هذا من التفسيرات التي ذهب إليها بعض المؤرخين العرب متكلف ليس له ما يثبته بالاستدلال والمنطق. وأن كل ما رُوي من الأشعار في موضوع نسب البربر وإلحاقهم بقبائل العرب، من مضرية وقحطانية، لم يكن مبنيا على معرفة مضبوطة، وإنما كان صادرا عن رغبات سياسية كانت تراود نفوس العرب والبربر معا،

المنارة للاستشارات
ww

والدليل أن شعراء عربا آخرين حاولوا أن ينسبوا إلى "العروبة" شعوبا أخرى غير البربر (شفيق محمد، 1988: 17)، فقالوا في الأكراد مثلا:

لعمرك ما كرد من أبناء فارس ولكنه كرد بن عمرو بن عامر

(ابن منظور جمال الدين، مجلد 3. 1997: 389)

وتسمية إفريقية حسب ابن عبد الحكم (257هـ/871م) مردها أن الأفارقة سموا كذلك لأنهم من ولد فارق بن نيْصر، وكان فارق قد حاز لنفسه من الأرض ما بين برقة إلى أفريقية، فبالأفارقة سميت إفريقيا (ابن عبد الحكم عبد الرحمان، 1999: 185). وذكر البلاذري (279هـ/892م) أن أفريقس بن قيس بن صيفي الحميري غلب على إفريقية في الجاهلية فسميت به، وهو الذي قتل ملكها جرجير، فقال "للبرابرة: ما أكثر بربرة هؤلاء فسموا البرابرة" (البلاذري أبو الحسن، 1991: 321).

1-4- أهم المصادر الإسلامية: الأصول.

ملخص ما كتبه المؤرخون المسلمون، العرب منهم والعجم، وكادوا يجزمون في العصر الوسيط أن البربر من أصل يماني (عرب عاربة) "الذين لم يكن لهم قط عهد بالعجمة، وعلى نهجهم سار المنظرون للاستعمار الفرنسي الاستيطاني في القرن 19م وبداية القرن 20م. فأخذوا يتمحلون البراهين على أن البربر أوربيو المنبت، خاصة الشقر والبيض منهم. ومن الواضح أن الحافز في الادعاءين كليهما سياسي، سواء أكان صادرا عن حسن نية أم كان إرادة تبرير للاستيطان" (شفيق محمد، 1988: 19).

وبعد تراجع الاستعمار أخذت هذه المسألة العلمية تفرض على الباحثين التحفظ تجاه المصادر المكتوبة ما لم تدعمها معطيات أخرى أكثر ضمانا للموضوعية، فاستغلت إمكانيات علم الآثار والأنثروبولوجيا واللسانيات في البحث عن أصل الأمازيغ (البربر)، وأفضت النتائج الأولى التي أفضت إليها البحوث أن سكان إفريقيا الشمالية الحاليين في جملتهم لهم صلة وثيقة بالإنسان الذي استقر بهذه الديار منذ ما قبل التاريخ (9000 سنة) من جهة، وأن المد البشري في هذه المنطقة كان دائما يتجه وجهة الغرب انطلاقا من الشرق من جهة أخرى (شفيق محمد، 1988: 19-20).

المنارة للاستشارات
ww

أما عن كتابات الفترة الوسيطة، فابن عبد الحكم (257هـ/871م) يرى أن البربر كانوا بفلسطين وكان ملكهم يدعى جالوت، فلما قتله داود (ع.س) خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية، وهما "كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من السماء ولا ينالهما النيل، فتفرقوا هنالك، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب وسكنوا الجبال، وتقدمت لواتة وسكنت أرض أنطابلس (برقة)، وتفرقت في هذا المغرب، وانتشروا فيه حتى بلغوا السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة، ونزلت نفوسة إلى مدينة سَبْرت، وجلا من كان فيها من الروم من أجل ذلك وأقام الأفارق، وكانوا خدما للروم، وانتهوا إلى صلح يؤدونه إلى من غلب على بلادهم" (ابن عبد الحكم عبد الرحمان، 1999: 170).

أما البلاذري (279هـ/892م) فيرى أن البربر زعموا "أنهم ولد بر بن قيس وما جعل الله لبر ولد، وإنما هم من الجبارين الذين قاتلهم داود (ع.س)، وكانت منازلهم على أبادي الدهر فلسطين، وهم أهل عمود فأتوا المغرب فتناسلوا به" (البلاذري أبو الحسن، 2010: 226).

ويرى اليعقوبي (284هـ/913م) أن البربر والأفارقة، من أولاد فارق بن بيصر بن حام بن نوح، ولما ملك إخوتهم بأرض مصر، فأخذوا من العريش إلى أسوان طولا، ومن أيْلة إلى برقة عرضا، خرجوا نحو المغرب، فلما جازوا أرض برقة أخذوا البلاد، فغلب كل قوم منهم على بلد، حتى انتشروا بأرض المغرب (انظر التعليق رقم 1). ونقل اليعقوبي، كذلك، عدة روايات منها أن أول من ملك منهم: لواتة في أرض يقال لها أجدابية من جبال برقة، وملكت مزاتة في أرض ودان...، وجاز قوم منهم إلى بلد تورغة، وهم هوارة، ... ثم "استعلت بهم الطريق فأخذ قوم إلى القيروان" ... وصار آخرون إلى تاهرت، وهم كتامة وعجيسة... وقوم إلى طنجة هم مكناسة. ونقل اليعقوبي رواية أخرى مفادها أن قوم من البربر والأفارقة ذكروا أنهم من ولد بربر بن عيلان ونزار، وقال آخرون أنهم من جذام ولخم، "كانت مساكنهم بفلسطين فأخرجهم بعض الملوك، ولما صاروا لمصر منعتهم بعض الملوك النزول، فعبروا النيل ثم عرّبوا. وقال آخرون: إنهم من اليمن نفاهم بعض الملوك من اليمن إلى أقاصي المغرب. وكل فريق ينصرون رواياتهم" (اليعقوبي أحمد، 2010: 235).

المنارة للاستشارات
ww

ويتفق ابن خرداذبة (300هـ/913م) مع سابقه أن دار البربر كانت فلسطين وملكها جالوت، فلما قتله داود (ع.س) جلت البربر إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية، فتفرقت هناك (ابن خرداذبة عبيد الله، د.ت: 52) ...

أما الطبري (310هـ/923م) فذكر أن النسابة هشام بن محمد الكلبي زعم أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد ما قتل النبي يوشع بن النون (ع.س) من قتل منهم، وأن إفريقيس هو ابن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب بن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وأسكن البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام. قال أنهم البرابرة، وسُموا بربرا، لأن إفريقيس قال لهم: ما أكثر بربرتكم! فسُموا لذلك بربرا، وذكر أن أفريقيس قال في ذلك:

بربرت كنعان لما سُقتُها من أراضي الملك للعيش العجب.

وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة (الطبري محمد، 1997: 261). جاء البيت في رواية أخرى هكذا:

بربرت كنعان لما سُقتها من أرض الضنك إلى العيش الخصيب.

(المصمودي صالح، 2013: 246 وابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 94). أما السلاوي (1315هـ/1897م) فذكر البيتين هكذا:

بُربِرتِ كنعانُ لمّا سُقتُها من بلادِ الضنكِ للخصبِ العجيبِ
أي أرضٍ سَكنوها ولقد فازتِ البربرُ بالعيشِ الخصيبِ.

(السلاوي أحمد، 2007: 56).

أما الاصطخري (346هـ/957م) فجعل البربر صنفان: صنف يقال لهم البتر وصنف يقال لهم البرانس، فنفزة وهوارة ومكناسة ومديونة من البتر، وهم بالأندلس، وكتامة وزناتة ومصمودة ومليلة وصنهاجة من البرانس. فأما زناتة فأوطانها بناحية تاهرت وأما كتامة فأوطانها بناحية سطيف، وسائر البربر الذين هم من البرانس "فمفترشون في سائر المغرب" (الإصطخري إبراهيم، 1927: 44). وقد فصّل ابن خلدون في "تاريخه" أسماء القبائل من البتر والبرانس (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 89- 90 و93).

المنارة للاستشارات
ww

ويضيف الإصطخري أن اطرابلس كانت للروم فجلت الروم إلى سقلية (ذكرها بالسين)، ثم انتشرت البربر إلى السوس الأدنى خلف طنجة. ثم رجع الأفارق والروم إلى مدائنهم بعد صلح مع البربر، "فكرهت البربر نزول المدن فنزلوا الجبال والرمال، فعادت المدن رومية حتى افتتحها المسلمون" (الإصطخري إبراهيم، 1927: 92) (انظر التعليق رقم 2).

وذم المقدسي (380هـ/990م) البربر قائلا أن الغالب على إقليم مغرب الشمس البربر، "وهم قوم على عمل الخوارزمية، لا يفهم لسانهم، ولا ترضى طباعهم، مع خسة وشدة" (المقدسي محمد، 1987: 201).

أما ابن حزم (456هـ/1064م)، الذي أخذ بروايته ابن خلدون، فذكر عدة روايات منها رواية إفريقس بن قيس بن صيفي وانتقاله لبلاد المغرب. وأشار أن في أنساب البربر اختلاف وتخليط، وتقديم وتأخير، ونقصان وزيادة، "ولا يصح من كتب أخبار التبابعة وأنسابهم إلا طرف يسير، لاضطراب رواتهم وبعد العهد" (ابن حزم محمد، 1982: 439). فذكر أن قوم قالوا أن البربر من بقايا ولد حام بن نوح، وادعت طوائف منهم إلى اليمن من حمير، وبعضهم من بر بن قيس عيلان. مؤكدا أنه "ما علم النسابون لقيس عيلان ابنا اسمه بَرٌّ أصلا، ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن". وأخذ بقول بعض نسابي البربر أن زناتة هو شانا بن يحي بن.... مازيغ ...بن كنعان بن حام بن نوح. أخذ هذا عن يوسف الوراق، قائلا أنه أخذ ذلك عن أحد أحفاد شانا أي زناتة (ابن حزم محمد، 1982: 495). ويرى ابن خلدون أن قول ابن حزم هو الأصح (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 89).

ولا تختلف رواية البكري (487هـ/1094م) عن الروايات السابقة مع بعض التفصيل فيها، فذكر رواية في معنى كلمة إفريقية أنها إفريقية أي صاحبة السماء، وقال آخرون لأن أفريقش بن أبرهة بن الرايش غزا نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في أرض بربر، وهو الذي بنا إفريقية وباسمه سميت، وقيل سميت بإفريق بن إبراهيم (ع.س) من زوجته الثانية قطورى. وفي رواية أخرى إنما سموا الأفارقة وبلادهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم، وقد زعموا أن اسم إفريقية ليبية سميت ببنت ياقوة بن يونش

المنارة للاستشارات
ww

الذي بنى مدينة منفيش بمصر، وهي التي ملكت ملك إفريقية أجمع، فسميت بها (البكري أبو عبيد، 1881: 21).

أما ابن الأثير (630هـ/1233م) فنقل رواية إفريقش بن قيس... بن يعرب بن قحطان، الذي مر ببني إسرائيل متوجها إلى إفريقية، "فاحتملهم من سواحل الشام فقدم بهم إفريقية، فافتتحها وقتل ملكها جرجير، وأسكنهم إياها فهم البرابرة، وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكتامة فهم فيهم إلى اليوم" (ابن الأثير محمد، 1985: 115). وقد سمى الطبري (310هـ/923م) بني إسرائيل الكنعانيون (الطبري محمد، 1997: 261).

وذكر الدرجيني (حوالي 670هـ/1272م) رواية الوفد من البربر الذي بعثه عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطاب، من لواتة، وهم محلقو الرؤوس واللحى، فقال لهم عمر : "من أنتم؟" فردوا أنهم من البربر من لواتة، فذكر أحد الحاضرين لعمر أنهم من ولد بني قيس، ولقيس عدة أولاد، أحدهم بربر بن قيس، وفي "خلقه بعض الرعونة... فكانت العرب تقول تبربروا أي كثروا ... لا مدائن لهم ولا حصون ولا أسواق" (الدرجيني أحمد، 1974: 17).

ونقل المصمودي (712هـ/1312م) وهو من الأمازيغ، مختلف الروايات في أصل البربر، فمن قائل أنه لما تفرق ولد نوح، أقبل البرابر نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا، واتصلوا مع القبط من أرض مصر إلى المغرب الأقصى، وجاوروا السودان مما يلي الصحراء، وجاوروا الإفرنجة والروم مما يلي السواحل، وسكنوا مع الأفارقة وهم سكان إفريقية. ومن قائل أن كان مسكنهم فلسطين من أرض الشام مع الكنعانيين، وكانوا ملوكا، وكان كل من "يملكهم يسمى جالوت، كتسمية الفرس كسرى، والروم قيصر، والترك خاقان، إلى أن ملكهم جالوت الجبار، فرعون داود (ع.س)، فقتله داود (ع.س). وجلت البربر نحو المغرب، وسكان المغرب يومئذ الروم... وساروا نحو إفريقية بعد أن منعتهم القبط والنوب من نزول أرضهم، وكان أهل إفريقية حينئذ الروم والإفرنجة والأفارقة من الأعاجم فحاربوهم، فظهرت عليهم البربر، فقتلوهم وهزموهم في جميع المواطن. وجلت الإفرنجة من أفريقية والمغرب إلى جزيرة الأندلس وجزائر البحر صقلية وغيرها، وقطنت البربر إفريقية والمغرب" (المصمودي صالح، 2013: 245).

المنارة للاستشارات
ww

وذكر أبو الفدا (732هـ/1347م) أن كتابه ليس سوى ملخصا لكتاب ابن الأثير "الكامل" لكنه نقل أن الرواة اختلفوا في البربر اختلافا كثيرا، فقيل إنهم من ولد فارق بن بيصر بن حام. وذكر أن البربر يزعمون أنهم من ولد قيس عيلان، وصنهاجة من البربر تزعم أنها من ولد أفريقس بن صيفي الحميري، وزناتة منهم تزعم أنها من لخم. ويرى أبو الفدا أن أصح الأقوال أنهم من ولد كنعان، قصدت منهم طائفة بلاد المغرب وسكنوا تلك البلاد، وهم البربر، وقبائل البربر كثيرة جدا (أبو الفدا عماد الدين، د.ت: 97).

ولا تختلف رواية الجزنائي (كان حيا سنة 766هـ/1365م)، وهو الأمازيغي عن ما سبق من الروايات، فسبب نزول البربر في أرض المغرب وافدين من أرض فلسطين بالشام، أن ملكها جالوت لما قتله داود (ع.س) جاءت البربر إلى المغرب، فتفرقت في تلك البلاد من موضع القيروان إلى ساحل البحر الأندلسي، وكانت هذه البلاد قبل البربر للروم، فجلت الروم أمامهم إلى صقلية، ثم رجع الأفارقة من الروم إلى مدائنهم بعد صلح مع البربر، وكرهت البربر نزول المدائن، فنزلوا الجبال والرمال لأنهم أصحاب إبل وغنم وبقر، وسكان خيام، فعادت المدن رومية، والجبال والصحاري بربرية، وهم يومئذ على أديان مختلفة (الجزنائي علي، 1991: 8)، وقول السلاوي (1315هـ/1897م) قريب من هذه الرواية (السلاوي أحمد، 2007: 56).

ونختم هذه الآراء من مصادر الفترة الوسيطة برأي ابن خلدون (808هـ/1406م) الذي لخص مختلف الأقوال في سبب انتقال البربر لبلاد المغرب (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 94) واختلاف الناس في تحقيق نسب البربر؛ فمن قائل أن بني حام تنازعوا مع بني سام فانهزم حام أمامهم إلى المغرب وتناسلوا به، واتصلت شعوبهم من أرض مصر إلى آخر المغرب إلى تخوم السودان، وكان بسواحل المغرب الأفارقة والإفرنج، فكانت ذرية حام في المداشر والخيام والأعاجم الأول في المدن (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6. 1867: 55). ونقل رواية مفادها أن أبا البربر كلهم هو سفك والد برنس (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 7، 1867: ص 3)، وربما سفك هذا هو الاسم العربي لسيفاكس. وقد رد ابن خلدون على مختلف الآراء وفند كثيرها، بل ذهب أكثر من ذلك قائلا أن من النسابة البربر من أرجع أصل البربر إلى قدماء العرب، وقال أنها "مزاعم

المنارة للاستشارات
ww

بشهادة المواطن والعجمة مستثنيا من ذلك صنهاجة وكتامة" (ابن خلدون عبد الرحمان، جزء 6، 1867 ص 96- 97).

ولا نختم هذا المطلب دون ذكر الرواية الاستشراقية القائلة أن السكان البدائيين لبلاد المغرب هاجروا من جنوب أوروبا ومن الصحراء وربما من مصر. وسمح ذوبان هذه العناصر فيما بينها بظهور عرق أو جنس عناصره، وإن كانت متباينة من حيث النوع والصفات الفيزيائية، لكن جمعتهم لغة جامعة communauté de langage سماهم القدماء الليبيون، المور، هؤلاء هم أجداد البربر (Bosworth C. et autres, 1985 :1178).

ولا شك أن إفريقيا، شمالها وجنوبها، كانت مسكونة منذ عُرف الإنسان على وجه الأرض، وكما أن اليمنيين أو الأوروبيين كانوا أصلاء في بلادهم، فكذلك الأمازيغ كانوا أصلاء في بلاد المغرب، الممتدة من لوبيا (ليبيا اليوم) حتى نهر السينغال. وامتد وجودهم من إفريقيا جنوب الصحراء، مع اختلاط وامتزاج فرضته الإقليمية الجغرافية والتنقل البشري (غلاب عبد الكريم، 2005:).

2- أخبار المنطقة قبل الفتح والمقاومة:

لقد عرفت الجزائر، مثل غيرها من أقطار الحوض المتوسطي، وجود الإنسان منذ أقدم عصور ما قبل التاريخ، وظهور التجمعات البشرية التي تأثرت بالحضارات الإنسانية القديمة، وتفاعلت معها في مختلف المجالات (حاجيات عبد الحميد، 2007: 8). وتاريخ الجزائر قبل الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لا يمكن فصله عن تاريخ المنطقة، لارتباطه بنفس الأحداث، ولأن حدود المغرب الأوسط، كما جاء في المصادر الإسلامية، كانت تتمدد وتتقلص وتغيب أحيانا تبعا لمجريات الأحداث. لهذا سيكون عرضنا لتاريخ الجزائر القديم هو عرض لتاريخ بلاد المغرب، ابتداء بأقدم المصادر الإسلامية التي أشارت باقتضاب شديد لتاريخ المنطقة، وأغلب هذا التاريخ غلبت عليه الأسطورة والقصص.

2-1- أخبار المنطقة قبل الفتح:

المنارة للاستشارات
ww

ذكر الواقدي (207هـ/823م) أنه عندما دخل المسلمون، زمن الخليفة عثمان بن عفان، مكان القيروان كانت أرض كثيرة العمارة قوية الجيش، وجيوشها أقوى من جيش المسلمين (الواقدي محمد، 1898: 3). وذكر أنه كان بتبسة، عندما توجه إليها المسلمون، وعلى رأسهم عقبة بن عامر (بن نافع)، "ملك عظيم الشأن، فارسا شديدا وبطلا صنديدا، وكانت جميع البطارقة تخضع لصولته وتهاب قوته وفروسيته، وكان يركب في مائة وثمانين ألف فارس من صناديد قومه، وأحكامه تمتد إلى بلاد الجريد، وهو مستقل في ملكه غير خاضع للملك الأكبر صاحب المعلقة، ولم يبايعه كغيره من ملوك إفريقية، ولا يسير مثلهم لزيارته في كل عام مع أنه عمه، وكان اسمه طيريب بن سكنان" (الواقدي محمد، 1898: 106). للإشارة لم يذكر الواقدي كلمة البربر بل سمى السكان الأوائل نصارى.

أما ابن عبد الحكم (257هـ/871م) فذكر أن مستقر سلطان إفريقية (أيام عثمان بن عفان، خلال حملة عبد الله بن سعد بن أبي السرح) كان مدينة قرطاجنة (قرطاجة) التي كان عليها الملك جرجير. كان كبير الروم هرقل استخلفه، لكنه "خلع هرقل وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين طرابلس وطنجة" (ابن عبد الحكم عبد الرحمان، 1999: 36).

وذكر المسعودي (346هـ/957م) أن صاحب صقلية وإفريقية من بلاد المغرب قبل ظهور الإسلام كان "يُدعى جرجير، من ولد يافث بن نوح، وهو من أمة دثرت" (المسعودي علي، 1948: 161). ونقل المالكي (453هـ/1061م) قصة مفادها أن قاضي إفريقية عبد الرحمان بن زياد بن أنعم (156هـ/773م) قال:"كنت وأنا غلام مع عمي بقرطاجنة، فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية "أنا عبد الله بن الأراشي رسول رسول الله صالح عليه السلام، بعثني إلى أهل هذه القرية أدعوهم إلى الله، أتيتهم ضحى قتلوني ظلما، حسيبهم الله، وقيل أن شعيب هو الذي بعث الأراشي. والأراش فخذ من بلي". وقال أبو العرب أنه لم يدخل إفريقية نبي قط. وأول من دخلها بالإيمان بعض حواريي النبي عيسى (ع.س) (المالكي عبد الله، الجزء 1. 1994: 9).

أما مجهول (القرن 6هـ/12م)، وهو من أبناء المنطقة، فأشار أن ملوك المغرب من الروم وغيرهم من الأمم، كانت دار مملكتهم مدينة طنجة. وإذا حُفرت خرائب طنجة

المنارة للاستشارات
ww

وجدت فيها أصناف الجواهر، ما يدل على أن طنجة كانت دار ملك لأمم سابقة (كاتب مراكشي، د.ت: 92). وذكر أن قرطاجنة كان ملكها ملكا عظيم جبارا، وكان ملك أكثر الأرض، وكان يسمى أنبيل، فدخل بلاد "الروم"(الرومان)، وقتل ملوكها، وأخذ بلادهم، وبعث لقرطاجنة من خواتم الملوك الذين قتلوا ثلاثة أمداد. ويقال أنه نازل مدينة روما الكبرى التي هي دار مملكة "الروم"، فلما حاصرها وضيّق على ملكها، وأفسد أقطارها، أرسل ملك روما قائدا، فحشر من كان ببلاده من "الروم" والجيوش، وأمرهم بالوصول إلى بلاد إفريقية، ونزلوا على قرطاجنة ولم يكن فيها من يعاونهم، فأرسلوا إلى ملكهم أنبيل يعلمونه بما حل ببلادهم، ويسألونه الإسراع لإغاثتهم. فعجب لذلك ملك قرطاجنة، وقال: "أردت قطع رسم الرومانيين من الدنيا، وأظن إله السماء أراد غير ذلك". ثم رجع إلى بلاده مسرعا، فزحف إليه شبيون، قائد صاحب روما، فهزمه مرارا عديدة حتى قتله واستأصل عسكره، ودخل قرطاجنة فهدمها وأحرقها، و"خرب المسلمون بقيها، وذلك مشهور" (كاتب مراكشي، د.ت: 176). والإشارة لأنيبال (حنبعل) ملفتة هنا لغيابها في المصادر المشرقية.

ونقل ابن عذارى (712هـ/1312م) عن الرقيق قائلا أن" هرقل،ملك القسطنطينية العظمى وروما، يؤدي إليه كل نصراني، في بر أو بحر، جزيته... ومنهم صاحب إطرابلس وصبرة... وروم إفريقية والأندلس (المراكشي ابن عذارى، 1884: 17). وذكر أن يوليان، صاحب طنجة، وصف البربر للقائد معاوية بن حديج، أيام الفتح، بأنهم مثل البهائم، لم يدخلوا في دين النصرانية ولا غيرها، وأنهم يأكلون الجيف، ويأكلون مواشيهم، ويشربون دمائها من أعناقها، "قد كفروا بالله، ومعظمهم المصامدة" (المراكشي ابن عذارى، 1884: 26 والقيرواني الرقيق، 1994: 43)، وقد جعل السلاوي (1315هـ/1897م) يوليان من المصامدة (السلاوي، 2007: 60). وذكر الذهبي (748هـ/1347م) أنه عندما سار الفاتح حسان الغساني لغزو إفريقية، افتتح "قرطاجنة وأهلها إذ ذاك روم عباد صليب" (الذهبي شمس الدين، الجزء 5. د.ت: 49).

أما ابن خلدون (808هـ/1406) فذكر غزو ملوك اليمن للبربر قائلا أنهم استكانوا لغلبهم ودانوا بدينهم، فقد ملك حمير بالقبائل اليمانية ملك المغرب مائة سنة، وهو الذي ابتنى مدائنه مثل إفريقية وصقلية. ويقول أن المؤرخين اتفقوا على غزو

المنارة للاستشارات
ww

إفريقش صيفي من التبابعة إلى المغرب، ودانوا بالنصرانية وهادنوا الروم، و"أدوا إليهم الجباية طواعية. وكان للبربر في الضواحي وراء ملك الأمصار المرهوبة الحامية ما شاء من قوة وعدة وعدد وملوك ورؤساء وأقيال، وأمراؤها لا يرامون بذل ولا ينالهم الروم والإفرنج في ضواحيهم تلم بمشخطة الإساءة وقد صبحهم الإسلام وهم في مملكة قد استولوا على رومة، وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك القسطنطينية" (ابن خلدون عبد الرحمان، الجزء 6. 1867: 106- 107). وذكر في "المقدمة" أنه لم يكن في إفريقية والمغرب قبل الإسلام ملك ضخم، إنما قطع الروم والإفرنجة إلى إفريقية البحر، وملكوا الساحل، وكانت طاعة البربر أهل الضاحية لهم طاعة غير مستحكمة... وأهل المغرب لم تجاورهم دولة، وإنما كانوا يبعثون بطاعتهم إلى القوط من وراء البحار (ابن خلدون عبد الرحمان، 2010: 384) وإلى الروم كذلك. ففي سنة 31هـ/652م كانت غزوة ذات الصواري، وكان سببها أن المسلمين "لما أصابوا من أهل أفريقية وقتلوهم وسبوهم خرج قسطنطين بن هرقل في جمع عظيم" (ابن الأثير علي، الجزء 3. 1985: 58) كرد على غزوهم أرض رومية.

وذكر ابن غازي (919هـ/1513م) أن البلاد كانت قبل فتحها ديار كفر مجوس ونصارى، وحاضرتها آنذاك مدينة وليلي (30 كلم شمال مكناس)، سميت باسم ملكها وليلي، وآثارها عظيمة باقية لعصره (ابن غازي محمد، 1999: 13).

وذكر ابن خلدون (808هـ/1406م) أنه كان من بين كهان البربر، قبل الهجرة بزمن "موسى بن صالح من بني يفرن، تنبأ فيما يكون لزناتة من الملك والدولة في المغرب وهي متداولة بين أهل الجيل. وهم يزعمون تارة أنه ولي، وتارة أنه كاهن، وقد يزعم بعض مزاعمهم أنه نبيا" (ابن خلدون عبد الرحمان، 2010: 342).

2-2- المقاومة.

استرعى انتباه المؤرخين أن البربر كانوا باستمرار يتحالفون مع كل مستعمر طارئ رغبة في التخلص من المستعمر المقيم. كلما هوجم البربر في عقر دارهم كانت ردة فعلهم عنيفة، لهذا لم تفتح إفريقية الشمالية "كاملة للدين المحمدي إلا بعد لأي وعناء، كان من الطبيعي أن ينظر الأمازيغ إلى الفاتحين الأول نظرة المغزو للغازي، لاسيما أن العرب كانوا يطرقون الأبواب مصحوبين بقضهم وقضيضهم، كما جاء في فتوح أفريقيا

المنارة للاستشارات
ww

والأندلس، مسلحين مستعدين للقتال، ظاهري الرغبة في السبي والغنم" (شفيق محمد، 1988: 26- 27 و45). وقد ذكر ابن عذارى (712هـ/1312م) أن عمرو بن العاص افتتح إطرالبس (23هـ/644م) بعد استغاثة أهلها بقبيل من البربر يقال لهم نفوسة، إذ كانوا دخلوا معهم دين النصرانية... ذكر لعمر بن الخطاب أنه لم يبق سوى إفريقية، وملوكها كثير وأهلها في عدد عظيم وأكثر ركوبهم الخيل (ابن عذارى المراكشي، 1884: 8). ولم يتوغل عمرو بن العاص سنة 25هـ/646م في إفريقية لكثرة أهلها، واكتفى في مال يؤدونه له (ابن الأثير علي، جزء 3. 1985: 45). وذكر السلاوي (1315هـ/1897م) حملة قام بها عبد الله بن سعد بن أبي سرح سنة 26هـ/647م (السلاوي أحمد، 2007: 36). وذكر ابن حوقل (367هـ/977م) أن البربر الذين بالمغرب قبائل أعدادهم كبيرة ولا يوقف على آخرهم لكثرة بطونهم وتشعب أفخاذهم وقبائلهم، وتوغلهم في البراري وتبددهم في الصحاري، ولهم "ملوك على مقاديرهم مقدمون يطيعونهم ولا يعصونهم، ويأمرونهم فلا يخالفونهم" (ابن حوقل أبو القاسم،1872: 71).

3- نقد الروايات:

نرى مما سبق أن قدماء المؤرخين المسلمين لم يسلكوا منهجية علمية سليمة، حيث اعتمدوا في كثير من الأحيان على رواية أخبار وقصص ذات طابع أسطوري، مما يتطلب نقدا علميا للمصادر عند استعمالها، وضرورة تحليل محتواها، وتعليل الأحداث، والحكم عليها وعلى رجالها، واستبعاد ما لا يقبله العقل السليم (حاجيات عبد الحميد، 2007: 7). كما جاء تاريخ بلاد المغرب (الجزائر) القديم تكرارا لما جاء في المصادر الإسلامية القديمة واجترارا من الأقدم منها. ويرى الميلي (1364هـ/1945م) أن تاريخ الجزائر قبل الإسلام ليس موضع تعارض مع تاريخ الجزائر المسلمة، بحيث ينفي أحدهما الآخر، فإن هذا المسعى يعتبر ظهور الإسلام بداية تحول عميق في جميع الميادين، سياسيا وثقافيا واجتماعيا، انصهرت به المجتمعات الأمازيغية، من حضر وبدو في الإسلام عقيدة وثقافة وممارسات (الميلي محمد مبارك، جزء 1. 2007: 36).

لكن محمد شفيق (ولد سنة 1344هـ/1926م) يرى أن الأوضاع القبلية السائدة في المجتمع التقليدي الأمازيغي إلى منتصف القرن 20م، الغالب أنها لم تتغير كثيرا منذ العصور القديمة. ولقد كانت مصدر قوة وضعف في آن واحد؛ كانت مصدر قوة لأنها

المنارة للاستشارات
ww

حالت دون قيام أي نظام إقطاعي (فيودالي) كالذي عرفته أوربا، ودون قيام أي نظام طاغوتي كالذي عرفه وادي النيل لمدة ثلاثة آلاف سنة، ودون قيام أي نظام قيصري ولا كسروي. ولذا لم يُستعبد"البربر قط استعبادا جماعيا، وحتى إذا برزت لهم في الأفق قوة تدعي الجبروت ناوشتها القبائل بدون انقطاع أو رحلت عن منطقة نفوذها، متحيِنة الفرصة للانقضاض عليها وكسر شوكتها عاجلا أو آجلا. وكانت مصدر قوة نسبية مكَنت الأمازيغ من مواجهة الهجمات الاستعمارية التي توالت على أفريقيا الشمالية ابتداء من القرن 5 ق.م" (شفيق محمد، 1988: 117).

من جهة أخرى، يعترف محمد شفيق (1344هـ/1926م)، أن تلك الأوضاع كانت مصدر ضعف ملحوظ لأنها جعلت الأمازيغ بصفتهم أمة، في مواقف الدفاع عن النفس في جل حقب التاريخ، مع ما كان يتوفر لهم من القوة الحربية الكمينة في عدد قبائلهم، وفي تعودهم حياة الشظف. كانوا يُهاجَمون في عقر دارهم، ولم يكونوا قادرين على التكتل العسكري الذي تنبع منه الرغبة في التوسع على حساب الغير. وكانت مصدر ضعف لأنها منعت قيام أي دولة مركزية يسمح لها طول بقائها بتنظيم الأمة في عمق كيانها، ولو مع مصادرة جزء مهم من الحريات، وبإنشاء حضارة مادية رفيعة متميزة. وكانت مصدر ضعف بما أن امتناع البربر عن السماح لأية فصيلة منهم بالسيطرة والتعالي كان يضطرهم إلى تحكيم غيرهم في شؤونهم، إما على مستوى الدول وإما على مستوى الأفراد، إلى أن صار ذوو الطموح السياسي منهم، بسبب ذلك، ينتحلون الأنساب غير الأمازيغية كي يستتب لهم الأمر، فعل ذلك الداعية الموحدي ابن تومرت (524هـ/1130م) ومؤسس الدولة الموحدية عبد المومن بن علي (558هـ/1163م) والسلاطين المرينيين وغيرهم، كما فعله من قبلهم الملك الأمازيغي يوبا الثاني (23م). وكانت تلك الأوضاع مصدر ضعف لأنها حالت بين الثقافة الأمازيغية الذاتية وبين النمو والازدهار، وأبقتها على حالتها المناسبة لنمط العيش القبلي المائل للبداوة. فوجدت تلك الثقافة نفسها في تنافس وتبار مع ثقافات أكثر نموا، وسُلمت لها بالتعاقب على شغل مجالات التحضر والتمدن (شفيق محمد، 1988: 118- 119). ورغم ما قيل فإن سكان إفريقية أمة بربرية إذ لا يمكن تمييز ما عدا البربر عنهم "لغلبة البربرية على غيرها. وهذا لا يخدش في أصل البربر شيئا، بل إنه يرشد تمسك البربر بجنسيتهم، ولذلك لم يندمجوا

المنارة للاستشارات
ww

في غيرهم، على كثرتهم ووفور عددهم، ولذلك ابتلعوا الجنسيات التي حلت بوطنهم" (الميلي محمد مبارك، جزء 1. 2007: 91).

- خاتمة:

يمكن القول في نهاية هذه الورقة العلمية أن تاريخ بلاد المغرب (الجزائر) القديم في المصادر الإسلامية، مشرقها ومغربها، غلب عليه القصص والأساطير، وكثرت حوله الروايات، وكادت تتفق أن أصل السكان مشرقي، وتحاملت بعض الكتابات الإسلامية على أهل البلاد، رامية إياهم بالكفر والمجوسية وبالخسة، لهذا يتوجب على مؤرخي المنطقة دراسة هذه المصادر دراسة نقدية موضوعية.

يجب أن تُدرس نصوص ابن عبد الحكم في "فتح المغرب" دراسة نقدية شاملة بصفتها المصدر الأول لأخبار البربر عند دخول العرب إفريقيا الشمالية. على المؤرخ الناقد أن يستنبط من المتون ما كان من الدوافع النفسية أو السياسية أو الاجتماعية أو الاقتصادية وراء التحامل على البربر من قبل مؤلفين عرب: مشارقة وأندلسيين؛ أمثال ابن حوقل وابن حزم المسيحي الأصل. قال المسعودي في المغرب "يقسي القلب، ويوحش الطبع،، ويطيش اللب، ويذهب بالرحمة، ويكسب الشجاعة... وفي أهله غدر، ولهم خبث ومكر، ...وهممهم غير مؤتلفة". مرد ذلك هو انعدام وجهة أمازيغية واحتكار خصومهم أو شركائهم لرواية أحداث التاريخ وللتعليق على الأحداث. إذ لا نعرف عن عهد قرطاجة وعهد روما وعهد بيزنطا إلا ما رواه الفينيقيون واليونان والرومان أنفسهم، ولا نعرف عن بربر عصور الإسلام الأولى إلا ما رواه لنا المؤلفون العرب، ولا نعرف عن بربر العهود المتأخرة من التاريخ الحديث والمعاصر إلا ما رواه لنا أعوان السلطة المركزية أو المقربون للسلطة (شفيق محمد، 1988: 123).

لهذا السبب ليس للمغرب الوسيط (الإسلامي) تاريخ قديم، فقد جهل المغاربة الملك الأمازيغي يوبا (46ق.م)، الفيلسوف الخطيب الأمازيغي أبولي (بعد 170م) أو القديس أغسطين (430م)، ولم يتذكروا سوى ملكة سبأ، والممالك العربية القديمة، والجزيرة العربية قبل الإسلام. إن التركيز على مرحلة الرسول (ص) شوشت جذريا التقسيم المرحلي الغربي للتاريخ. والتاريخ القديم أصبح بالنسبة لمغاربة الفترة الوسيطة هو تاريخ ما قبل الإسلام، وكل دراسة يجب أن تبدأ من التاريخ الجاهلي وليس من التاريخ

المنارة للاستشارات
ww

القديم، لأنه في المخيال المغاربي القطيعة واضحة، إنها قطيعة القرن 7م (ظهور الإسلام). إنه ماض لا يمضي لا يمر un passé qui ne passe pas (Benchekroun Chafik, 2015 : 1).

لهذا غاب تاريخ بلاد المغرب القديم في المصادر الإسلامية، والنزر اليسير الموجود فيها ليس سوى قصص وأساطير، واجترارا لنفس الروايات مع اختلافات بسيطة.

التعليقات:

التعليق رقم 1:

-ذكر المصمودي أن حام هام على وجهه يؤم المغرب حتى بلغ السوس الأقصى (المصمودي صالح، 2013: ص 245).

التعليق رقم 2:

-نجد نفس الرواية عند الذهبي الذي جعل كتامة ولمتونة ومصمودة وهوارة من حمير، وجعل بربر من ولد قندار بن إسماعيل بن إبراهيم (ع.س) (الذهبي شمس الدين، جزء 5. د.ت: 47).

قائمة المصادر والمراجع:

1) ابن الأثير علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري (630هـ/1233م) (مؤرخ)، (1985). الكامل في التاريخ، عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليه نخبة من العلماء، مجلد 1، وجزء 3. بيروت: دار الكتاب العربي.

2) ابن حزم محمد علي بن أحمد الأندلسي (456هـ/1064م) (محدث، مؤرخ...)، (1982). جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الخامسة. القاهرة: دار المعارف.

3) ابن حوقل أبو القاسم (367هـ/977م) (مؤرخ وجغرافي)، (1872). كتاب المسالك والممالك، ليدن: مطبع بريل.

4) ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (300هـ/913م) (مؤرخ جغرافي) (د.ت). المسالك والممالك، تحرير وتقديم: حماه الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية.

5) ابن خلدون عبد الرحمان (808هـ/1406م) (مؤرخ)، (2011). تاريخ الجزائر في العصور الوسطى من كتاب "العبر"، تقديم وتعليق: سعيد دحماني. عنابة: منشورات بونة للبحوث والدراسات.

المنارة للاستشارات
ww

6) ابن خلدون عبد الرحمان المغربي (مؤرخ)، (1867). كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، جزء 6 و7. د.بلد: د.د.ن.
7) ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد (808هـ/1406م) (مؤرخ)، (2010). مقدمة ابن خلدون، اعتنى به: مصطفى شيخ مصطفى، بيروت: مؤسسة الرسالة ناشرون.
8) ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله بن أعيُن القرشي المصري (257هـ/871م) (محدث ومؤرخ)، (1999). فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز تورّي، جزء 2. القاهرة: شركة الأمل للطباعة والنشر.
9) ابن عذارى المراكشي (712هـ/1312م) (مؤرخ)، (1884). كتاب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، نشر وتحقيق: ج.س. كولان وإ.ليفي بروفنصال، جزء 1: تاريخ إفريقية والمغرب من الفتح إلى القرن الرابع الهجري. ليدن- هولندا: مطبوعات ا.ج. بريل.
10) ابن غازي محمد العثماني الكتامي (919هـ/1513م) (مؤرخ وفقيه)، (1999). الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، طبعة 3. الرباط: المطبعة الملكية.
11) ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري (711هـ/1311م) (أديب ومؤرخ)، (1997) لسان العرب، مجلد 3. بيروت: دار صادر.
12) أبو الفدا عماد الدين إسماعيل (صاحب حماة) (732هـ/1347م) (ملك عالم)، (د.ت). المختصر في أخبار البشر، جزء 1. القاهرة: المطبعة الحسينية المصرية.
13) الإدريسي الشريف أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني (564هـ/1160م) (جغرافي)، (د.ت). كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مجلد 1. القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية.
14) الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي (346هـ/957م) (جغرافي)، (1927). كتاب مسالك الممالك وهو معول على كتاب صور الأقاليم للشيخ أبي زيد أحمد بن سهل البلخي . مدينة ليدن المحروسة: مطبعة بريل.
15) البكري أبو عبيد (487هـ/1094م) (جغرافي)، (د.ت). المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، بغداد: مكتبة المثنى.
16) البلاذري أبو الحسن (279هـ/892م) (مؤرخ)، (1991). فتوح البلدان، عني بمراجعته والتعليق عليه: رضوان محمد رضوان، بيروت: دار الكتب العلمية.
17) الجزنائي علي (كان حيا سنة 766هـ/1365م)(مؤرخ)، (1991). جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، الطبعة 2. الرباط: المطبعة الملكية.

المنارة للاستشارات
ww

18) حاجيات عبد الحميد (ولد سنة 1929م)، (2007). كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، الجزائر: منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر.
19) الذهبي محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (748هـ/1347م) (محدث، مؤرخ)، (د.ت). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،جزء 31. القاهرة: المكتبة التوفيقية.
20) السلاوي أبو العباس أحمد بن خالد بن حماد الناصري الدرعي (1315هـ/1897م) (مؤرخ)، (2007). الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،اعتنى به محمد عثمان، بيروت: دار الكتب العلمية.
21) شفيق محمد (ولد سنة 1344هـ/ 1926م) (كاتب وباحث في التاريخ)، (1988). ثلاثة وثلاثين قرن من تاريخ الأمازيغيين، الرباط: كل حقوق النشر محفوظة للمؤلف.
22) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير (310هـ/923م) (مؤرخ)، (1997). تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، مجلد 1: تاريخ ما قبل الهجرة النبوية الشريفة. بيروت: دار الكتب العلمية.
23) العمري ابن فضل الله شهاب الدين (749هـ/1348م) (أديب ومؤرخ)، (2001). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: محمد عبد القادر خريسات وعصام مصطفى هزايمة ويوسف أحمد بني ياسين، جزء 4: الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وإفريقية. أبو ظبي: مركز زايد للتراث والتاريخ، والسفر الأول من تحقيق: عبد الله بن يحي السريحي، (2003). أبو ظبي: المجمع الثقافي.
24) غلاب عبد الكريم (1396هـ/2017م) (مؤرخ وأديب)، (2005). قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي مغرب الأرض والشعب عصر الدول والدويلات، جزء 1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
25) القيرواني الرقيق (417هـ/1026م) (مؤرخ)، (1994). تاريخ إفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم ومحمد عزب، القاهرة: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
26) كاتب مراكشي من كُتاب القرن السادس الهجري (القرن 6هـ/12م) (مجهول)، (د.ت). كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار وصف مكة والمدينة ومصر وبلاد المغرب، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة - آفاق عربية.
27) المالكي عبد الله بن محمد أبي بكر (453هـ/1061م) (مؤرخ)، (1994). كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، حققه بشير البكوش، راجعه محمد العروسي المطوي، جزء1. طبعة 2. بيروت: دار الغرب الإسلامي.

المنارة للاستشارات
ww

28) المراكشي محي الدين أبو محمد عبد الواحد بن علي التميمي (621هـ/1224م) (مؤرخ)، (1881). كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب، طبع في مدينة ليدن المحروسة: د.د.ن.
29) المقدسي محمد البشاري (380هـ/990م) (رحالة وجغرافي)، (1987). أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، وضع مقدمته وهوامشه وفهارسه: محمد مخزوم، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
30) المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين بن علي (346هـ/957م) (مؤرخ وجغرافي)، (1948). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، جزء 1. طبعة 2 مزيدة ومنقحة. القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى.
31) المصمودي صالح بن عبد الحليم (712هـ/1312م) (نسابة)، (2013). مفاخر البربر، دراسة وتحقيق: عبد القادر بوباية، الجزائر: مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث.
32) المنوني محمد (1419هـ/1999م) (مؤرخ)، (1983). المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح إلى نهاية العصر الحديث، جزء 1. الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
33) الميلي محمد مبارك (1364هـ/1945م) (مصلح)، (2007). تاريخ الجزائر في القديم والحديث، جزء 1. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
34) الواقدي محمد (207هـ/823م) (مؤرخ)، (1898)، فتوح البلدان، تونس: المطبعة العمومية.
35) اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب العباسي (284هـ/913م) (مؤرخ وجغرافي)، (2010). تاريخ اليعقوبي، تحقيق: عبد الأمير مهنا، مجلد 1. بيروت: شركة الأعلمي للمطبوعات.
36) Benchekroun Chafik (Université de Toulouse Jean Jaurès), (2015). « Le Maghreb médiéval et l'Antiquité ». in Mélanges de la Casa de Velazquez, n° 45-2, pp 195-223.
37) Bosworth C.E. et autres, (1985). Encyclopédie de l'Islam, nouvelle édition établie avec le concours des principaux orientalistes, tome 5. Pays Bas.

أغلب المصادر تم الاطلاع عليها على رابط https://archive.org

المنارة للاستشارات
ww